فاعلم أنه لا إله إلا الله

(٩)

أنواع الشرك

لابن قيم الجوزية

أعده وضبطه وعلق عليه

أبو محمد أشرف بن عبد المقصود

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

مكتبة طبرية

الرياض - النسيم - تلفون ٢٣٢١٠٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذُ بالله من شُرور أَنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأَشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، وبعد :

فلما كان الشِّرك أعظم الذُّنوب ؛ لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره لمن لم يَتُب منه وما دونه من الذُّنوب فهو داخل تحت المشيئة ، إن شاء غفره لمن لقيه به ، وإن شاء عذَّبه به قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨،١١٦] كان حقيق على المرء المسلم أن يحذره كل الحذر وذلك

يوجب للعبد شدَّة الخوف الذى هذا شأنه عند الله ، لأنه أقبح القبيح وأظلم الظلم ، وتنقُّص لربِّ العالمين ، وصرْفُ خالص حقِّه لغيره ، وعَدْلُ غيره به ، كما قال تعالى : ﴿ ثمَّ الَّذينَ كَفَرُوا بِربِّهم يَعْدِلُون ﴾ [الأنعام : ١][(١)] .

والحذر من الشِّرك يقتضى من المسلم الحكيم أن يتعرّف على أنواعِهِ ليحذرها كل الحذر وليبتعد كل البعد عن كل موطن يُقرِّب منها وقد قال حذيفة رضى الله عنه : « كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُون رَسُولَ الله ﷺ عن الخير ، وَكُنت أَسْأَلُهُ عن الشَّر مَخَافَةَ أن يُدْركَنى »[(٢)] .

وقال الشاعر :

عرفتُ الشَّر لا للشَّر ... لكـــن لتوقِّيـــه
ومن لا يعرف الخـــير ... من الشَّــر يقع فيــه

---

(١) راجع فتح المجيد (٩١/١) بتحقيقنا .

(٢) رواه البخارى (٣٦٠٦) ومسلم (١٨٤٧) (٥١) .

لذا رأيت من الواجب عليَّ أن أسهم فى هذا الجانب بنصيب فقد قال ﷺ : « مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مثل أَجْرِ فَاعِله »[٣] ومن الخير كل الخير تحذير الناس من الشرك وأنواعه ليعبد الله وحده ويفرده بالعبودية .

فقد شَرَعْتُ فى إفراد هذا القسم المهم فى الكلام على الشرك وأنواعه للحافظ ابن القيم من كتابه (الجواب الكافى) لنفاسته وشموله ، وقمت بضبطه وتخريج آياته وأحاديثه والتعليق عليه ووضع عناوين مناسبة لكل فقرة راجيًا المولى تبارك وتعالى أن يحفظنا من الشرك والنفاق وسوء الأخلاق إنه سميع مجيب .

الإسماعيلية فى ٢١ صفر ١٤١٣ هـ

وكتـب

أبو محمـد أشرف بن عبدالمقصـود

---

(٣) رواه مسلم (١٨٩٣) (١٣٣) من حديث أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا .

قال الشيخ الإمام العالم وارث الأنبياء وقدوة العلماء المجتهد المفسر ذو الفوائد الحسان : أبو عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية – رحمه الله وأدخله الجنة – بعد كلام سبق فى الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى :

لماذا أرسل الله الرُّســـل ؟

إن الله عزّ وجلّ أرسل رسله ، وأنزل كتبه ، وخلق السماوات والأرض ليُعرف ويُعبد ويوحَّد ويكون الدين كله لله ، والطاعة كلها له ، والدعوة له ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[الذاريات : ٥٦] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الحجر : ٨٥] . وقال تعالى : ﴿ اللهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ، وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ، يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ، لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] . وقال تعالى : ﴿ جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْىَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٩٧] .

فأخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر : أن يُعرف بأسمائه وصفاته ، ويُعبد وحده لا يُشرك به ، وأن يقوم الناس بالقسط ، وهو العَدل الذى قامت به السماوات والأرض ، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

فأخبر سبحانه أنَّه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل ، ومن أعظم القسط التوحيد ، وهو رأس العدل وقوامه ، وإن الشِّرك لظلم عظيم ، فالشِّرك أظلم الظلم ، والتَّوحيد أعدل العدل ، فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر ، وتفاوتها فى درجاتها بحسب منافاتها له ، وما كان أشد موافقة لهذا المقصود فهو أوجب الواجبات وأفرض الطاعات .

فتأمل هذا الأصل حق التأمل ، واعتبِر تفاصيله تعرفْ به حكمة أحكم الحاكمين ، وأعلم العالمين ، فيما فرضه على عباده ، وحرَّمه عليهم ، وتفاوت مراتِب الطاعات والمعاصى .

فلما كان الشرك بالله منافيًا بالذات لهذا المقصود كان من أكبر الكبائر على الإطلاق ، وحرم الله الجنة على كل مشرك ، وأباح دمه وماله وأهله لأهل التَّوحيد ، وأن

يتَّخِذُوهم عبيدًا لهم ، لما تركوا القيام بعبوديته ، وأبى الله سبحانه أن يقبل من مشرك عملًا ، أو يقبل فيه شفاعة ، أو يستجيب له فى الآخرة دعوة ، أو يقيل له فيها عثرة ، فإن المُشرك أجهل الجاهلين بالله ، حيث جعل له من خلقه نِدًّا ، وذلك غاية الجهل به ، كما أنه غاية الظلم منه ، وإن كان المُشرك لم يظلم ربه ، وإنما ظلم نفسه .

هل يجوز التَّقرب إلى الله بالشُّفعاء والوَسَائط ؟ :

● ووقعت مسألة ، وهى : أن المُشْرك إنما قصده تعظيم جناب الرب تبارك وتعالى ، وأنه لعظمته لا ينبغى الدُّخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء ، كحال الملوك ، فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية ، وإنما قصد تعظيمه ، وقال : إنما أعبد هذه الوسائط لتقربنى إليه وتدلنى وتدخلنى عليه ، فهو المقصود ، وهذه وسائل وشفعاء ، فلم كان هذا القدر موجبًا لسخطه وغضبه

تبارك وتعالى ، ومخلدًا فى النار ، وموجبًا لسفك دماء أصحابه ، واستباحة حريمهم وأموالهم(١) ؟

وترتب على هذا سؤال آخر ، وهو أنه : هل يجوز أن يشرع الله سبحانه لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسائط ، فيكون تحريم هذا إنما استفيد من الشرع ، أم ذلك قبيح فى الفطر والعقول يمتنع أن تأتى به شريعة ؟ بل جاءت الشرائع بتقرير ما فى الفطر والعقول من قبحه الذى هو أقبح من كل قبيح ، وما السر فى كونه لا يغفره من بين سائر الذنوب ؟ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] .

فتأمل هذا السؤال ، واجمع قلبك وذهنك على جوابه ولا تستهونه ، فإن به يحصل الفرق بين المُشْرِكين

---

(١) سيأتى الكلام على هذه الشبه والرد عليها ص (٤٨) وراجع تعليقنا هناك فيما نقلناه عن شيخ الإسلام ابن تيمية فى مسألة اتخاذ الوسائط من دون الله .

والموحدين ، والعالمين بالله والجاهلين به ، وأهل الجنة وأهل النار .

فنقول ، وبالله التوفيق والتأييد ، ومنه نستمد المعونة والتسديد ، فإنه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، ولا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع .

الشـــرك نوعـــان

الشِّرك نوعان :

١ - شِرْكٌ يتعلق بذات المعبود ، وَأَسْمَائه ، وصفاته وأفعاله[٢] .

٢ - وَشِرْكٌ فى عبادته ومعاملته[٣] ، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله .

* * *

---

(٢) وهو الشرك فى توحيدىْ الرُّبوبية والصِّفات ومجموعهما يسمى توحيد الإثبات والمعرفة .

(٣) وهو الشرك فى توحيد الألوهية أو العبودية ويسمى توحيد القصد والطلب .

الشرك الأول : المتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله

والشرك الأول نوعان :

(أ) **أحدهما شرك التَّعطيل** : وهو أقبح أنواع الشرك ، كشرك فرعون إذ قال : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٣] وقال تعالى مخبرًا عنه أنه قال لهامان : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ، وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ [غافر : ٣٦، ٣٧] .

والشِّرك والتَّعطيل متلازمان : فكل مُشرك مُعَطِّل ، وكل معطل مُشْرك ، لكن الشِّرك لا يستلزم أصل التَّعطيل . بل قد يكون المُشْرِك مقرًّا بالخالق سبحانه وصفاته ، ولكنه عطّل حق التَّوحيد .

وأصل الشرك وقاعدته التى يرجع إليها ، هو التعطيل ، وهو ثلاثة أقسام :

(أ) تعطيل المَصنُوع عن صانعه وخالقه .

(ب) وتعطيل الصَّانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله[٤] .

(جـ) وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد .

---

(٤) التعطيل : لغة التَّفريغ والإخلاء وفى الاصطلاح هنا فى هذا القسم : إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات أو إنكار بعضه فهو نوعان :

تعطيل كلى : كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الصفات وغلاتهم ينكرون الأسماء أيضًا .

وتعطيل جزئى : كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض .

وأول من عرف بالتعطيل من هذه الأمة هو الجعد بن درهم .

راجع : فتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين ص (٥٥) .

ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود[٥] الذين يقولون : ما ثَمَّ خالق ومخلوق ولا ها هنا شيئان ، بل الحقّ المنزه هو عينِ الخلق المُشبَّه .

---

(٥) أمثال ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين والحلاج ومن ذلك قول ابن عربي في كتابه فصوص الحكم ص (٧٩) :

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا
وليس خلقًا بذاك الوجه فادّكروا
من يدر ما قلت لم تخذل بصيرته
وليس يدريه إلا من له بصر
جمِّع وفرِّق فإن العين واحدة
وهى الكثيرة لا تبقى ولا تذر

وقال أيضا ص (١٠١) : (اعلم أن المقول عليه « سوى الحق » أو مسمى العالم هو بالنسبة إلى الحق كالظل للشخص) .

وقوله في الفتوحات المكية :

العبد رب والرب عبد
يا ليت شعرى من المكلف
إن قلت عبد فذاك حق
أو قلت رب أنى يكلف

= وهذا المذهب الشركى الذى يعتقده ابن عربى وغيره يتضمن كفريات مهلكة :

منها : إنكار الصانع سبحانه وتعالى إذ القول بوحدة الوجود يلزم منه أن لا يكون خالق ولا مخلوق ؛ إذ لو قيل بخالق فمن يخلق هذا الخالق .

ومنها : إنكار العبودية وإبطال التكليف ؛ لأنه إذا كان واحدًا فمن يعبد ؟ هل يعبد نفسه ؟ أيكلف نفسه ؟

ومنها: نفى التغاير بين العبد والرب إذ القول بالوحدة معناه أن الوجود واحد وهو وجود الله ، وما سواه من مخلوقات بما فى ذلك العباد صورة له وإذا كان كذلك فلا تغاير بين العبد والرب . يقول ابن القيم فى « مدارج السالكين » (٢٦٤/١) : « ولما اجتمع التعطيلان لمن اجتمعا له من السالكين تولد منهما القول بوحدة الوجود المتضمن لإنكار الصانع وصفاته وعبوديته » ا . هـ .

إلى غير ذلك ... وراجع : (شرح النونية لهراس) (٦٥/٢ : ٧٤) .

ومنه : شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته ، وأنه لم يكن معدومًا أصلًا ، بل لم يزل ولا يزال ، والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها ، يسمونها بالعقول والنفوس[٦] .

---

(٦) أمثال أرسطو صاحب المنطق : فالمشهور عنه أنه كان يرى أن العالم مساوق لله فى الوجود أزلًا وأبدًا، والله عنده ليس خالقًا للعالم ، وإنما هو محرك فقط ، ولهذا كان يسميه المحرك الأول أو العلة الأولى أو الصُّورة المحضة ولا يعنى أرسطو بذلك أن الله فعل فى العالم الحركة فإن الله ليس بعلة فاعلية عنده وإنما هو علة غائية .

وتبعه على هذا الكفر الفارابى وابن سينا من متفلسفة الإسلام المارقين فقدموا آرائه على الوحى المنزل وحاولوا التمويه والمغالطة فى لبس الأمر على المسلمين فكشف زيفهما وانحرافهما الأذكياء من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية .

ولا شك أن هذا الرأى فى قدم العالم هو رأى ملاحدة الدهرية الذين ينكرون وجود الخالق جل وعلا ويقولون : ﴿ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنيا نَمُوتُ وَنَحيا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية : ٢٤] . راجع : شرح النونية (١/١٧٥ : ١٧٩) .

ومن هذا : شرك من عطل أسماء الرَّب تعالى وأوصافه وأفعاله من غُلاة الجهمية والقرامطة(٧) ، فلم يُثبِتُوا له اسمًا ولا صِفَة ، بل جعلوا المخلوق أكمل منه ، إذ كمال الذَّات بأسمائها وصفاتها .

---

(٧) الجهمية : فرقة من الفرق الضَّالة المنحرفة تنسب إلى مؤسسها الجهم بن صفوان ينفون عن الله عز وجل كل اسم أو صفة يمكن إطلاقه على مخلوق : كحى وسميع وبصير بحجة نفى التشبيه وأولوا النصوص الدَّالة عليها وحرفوها ، ورتبوا على نفى صفة الكلام عن الله عز وجل القول بأن القرآن مخلوق . قال الشهرستانى فى « الملل والنحل » (١٠٩/١) وهو يحكى اعتقاد الجهم : « ووافق المعتزلة فى نفى الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء منها قوله : لا يجوز أن يوصف البارى تعالى بصفة يوصف بها خلقه ؛ لأن ذلك يقتضى تشبيهًا فنفى كونه حيًّا عالمًا ، وأثبت كونه قادرًا فاعلًا خالقًا ؛ لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة ، والفعل والخلق » ا . هـ .

وقال الأشعرى فى « المقالات » (٢٨٠/١) : « ويحكى عنه أنه كان يقول : لا أقول أن الله تعالى شيء لأن ذلك تشبيهًا له بالأشياء ... ويقول بخلق القرآن » ا . هـ .

وأما القرامطة : ففرقة باطنية منحرفة وقرمط رأسهم وإليه نسبتهم .

فصـــل

(ب) النوع الثانى : شرك من جعل مع الله إلَهًا آخر ولم يعطل أسماءه وصفاته وربوبيته كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة ، فجعلوا المسيح إلَهًا ، وأمه إلَهًا .

ومن هذا : شرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور ، وحَوادث الشر إلى الظلمة .

ومن هذا : شرك القدرية القائلين بأن الحيوان هو الذى يخلق أفعال نفسه ، وأنها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وإرادته ، ولهذا كانوا أشباه المجوس(٨) .

---

(٨) وفى الحديث : « القَدَرِيَّة مَجُوس هَذِهِ الأُمَّة ... » رواه أبو داود (٤٦٩١) وغيره وحسنه الألبانى فى تخريج شرح الطحاوية لابن أبى العز (٢٨٤) .

● **قال ابن الأثير فى « جامع الأصول » (١٠/١٢٨) : « القدرية** فى إجماع أهل السنة والجماعة: هم الذين يقولون: الخير من الله والشر=

ومن هذا : شرك الذى حاجّ إبراهيم فى ربه : ﴿ إِذ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] فهذا جعل نفسه نِدّاً لله تعالى ، يحيى ويميت بزعمه ، كما يحيى الله ويميت ، فألزمه إبراهيم أن طردَ قولك أن تقدر على الإتيان بالشمس من غير الجهة التى يأتى بها

= من الإنسان، وإن الله لايريد أفعال العصاة ، وسمُّوا بذلك لأنهم أثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى ، ونَفَوا أن تكون الأشياء بقدر الله وقضائه ، وهؤلاء مع ضلالتهم يضيفون هذا الاسم إلى مخالفيهم من أهل الهدى ، فيقولون أنتم القدرية ، حين تجعلون الأشياء جارية بقدر من الله وأنكم أولى بهذا الاسم منا ، وهذا الحديث يبطل ما قالوا فإنه ﷺ قال : « القدرية مجوس هذه الأمة » ومعنى ذلك : أنهم لمشابهتهم المجوس فى مذهبهم ، وقولهم بالأصلين – وهما النور والظلمة ، فإن المجوس يزعمون أن الخير من فعل النور ، والشر من فعل الظلمة فصاروا بذلك ثنوية ، وكذلك القدرية لما أضافوا الخير إلى الله والشر إلى العبيد : أثبتوا قادرَيْن خالِقَيْن للأفعال كما أثبت المجوس ، فأشبهوهم وليس كذلك غير القدرية ، فإن مذهبهم أن الله تعالى خالق الخير والشر ، لا يكون شىء منهما إلا بخلقه ومشيئته ، فالأمران معًا مضافان إليه خلقًا وإيجادًا ، وإلى العباد مباشرة واكتسابا » ا . هـ .

الله منها ، وليس هذا انتقالًا كما زعم بعض أهل الجدل، بل إلزامًا على طرد الدليل إن كان حقّاً .

ومن هذا : شرك كثير ممّن يشرك بالكواكب العلويات ، ويجعلها أربابًا مدبِّرة لأمر هذا العالم ، كما هو مذهب مشركى الصابئة[٩] وغيرهم .

---

(٩) قال الشهرستانى فى « الملل والنِّحل » (٧٦/٢) : « فى اللغة : صبا الرجل إذا مال وزاغ فبحكم ميل هؤلاء وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة ... وإنما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين ... ومذهب هؤلاء أن للعالم صانعًا فاطرًا حكيمًا مقدسًا عن سمات الحدثان والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرًا وفعلًا وحالة ... وإنما أرشدنا إلى هذا معلمنا الأول عاذيمون وهرمس فنحن نتقرب إليهم ونتوكل عليهم فهم أربابنا وآلهتنا ووسائلنا وشفعاؤنا عند الله وهو رب الأرباب وإله الآلهة فالواجب علينا أن نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية ونهذب أخلاقنا عن علائق القوى الشهوانية والغضبية حتى يحصل مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات فنسأل حاجتنا منهم ونعرض أحوالنا عليهم ونصبوا فى جميع أمورنا إليهم فيشفعون لنا إلى خالقنا وخالقهم ... » ا . هـ .

ومن هذا : شرك عباد الشَّمس وعباد النار وغيرهم .

ومن هؤلاء من يزعم أَنَّ معبوده هو الإِلَه على الحقيقة ، ومنهم من يزعم أنه أكبر الآلهة ، ومنهم من يَزْعُم أنه إلَه من جملة الآلهة ، وأنه إذا خصَّه بعبادته والتَّبتل إليه والانقطاع إليه أقبل عليه واعْتَنَىٰ به ، ومنهم من يزعم أن معبوده الأَدْنىٰ يُقَرِّبه إلى المعبود الذى هو فوقه ، والفوقانى يقرّبه إلى من هو فوقه ، حتى تقربه تلك الآلهة إلى الله سبحانه ، فتارة تكثر الآلهة والوسائط وتارة تَقِلُّ .

* * *

فصـــل

الشرك الثانى : المتعلق بعبادتـــه ومعاملتـــه

وأما الشرك فى العبادة : فهو أسهل من هذا الشّرك ، وأخفّ أمرًا ، فإنَّه يَصْدر ممن يعتقد أنه لا إِلَه إِلَّا الله ، وأنه لا يضرُّ ولا ينفع ولا يعطى ولا يمنع إِلَّا الله ، وأنه لا إِلَه غيره ولا ربَّ سِواه، ولكن لايخصُّ الله فى معاملته **وعبوديته ، بل يعمل لحظ نفسه تارة ، ولطلب الدُّنيا تارة ، ولطلب الرِّفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة ، فلله من عمله وسَعْيه نصيب ، ولنفسه وحظّه وهَواه نصيب ، وللشَّيطان نصيب ، وللخلق نصيب ، وهذا حال أكثر الناس ، وهو الشِّرك الذى قال فيه النبى ﷺ فيما رواه ابن حبَّان فى صحيحه : « الشِّرْكُ فِى هَذِهِ الأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلَةِ ، قَالُوا : كَيْفَ نَنْجُو مِنْهُ**

يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ »(١٠) .

فالرِّياء كُلُّه شرك ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ، فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

أى كما أنه إِلَٰهٌ واحد ، ولا إِلَٰه سواه ، فكذلك ينبغى أن تكون العبادة له وحده ، فكما تفرد بالإِلٰهية يجب أن يفرد بالعبودية .

---

(١٠) **حديث صحيح** : أخرجه أبو يعلى فى مسنده (١/٦١، ٦٢) ، والمروزى فى مسند أبى بكر الصديق (١٧ ، ١٨) وفى إسناده ليث بن أبى سليم . قال الحافظ فى « التقريب » : (صدوق اختلط أخيرًا ولم يتميز حديثه فترك) والراوى عنه وهو أبو محمد لا يعرف إلا أن الحديث متنه صحيح بشواهده كما قال الأرناؤوط فى تخريج مسند أبى بكر للمروزى . وراجع : صحيح الترغيب والترهيب للألبانى (١/٩١) .

فالعمل الصَّالح : هو الخَالى من الرِّياء المقيّد بالسُّنة .

وكان من دعاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « اللَّهُمَّ اجْعَل عَمَلِى كُلّه صَالِحًا ، واجْعَله لِوَجْهِكَ خَالِصًا ، ولا تَجْعَل لأَحَدٍ فِيهِ شَيْئًا »[11] .

وهذا الشِّرك فى العبادة يُبطل ثواب العَمَل ، وقد يُعاقب عليه إذا كان العمل واجبًا ، فإنّه يُنزله منزلة من لم يَعمل ؛ فيعاقب على ترك الأمر ، فإن الله سبحانه إنما أمر بعبادته عبادة خالصة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة : ٥] .

فمن لم يُخلص لله فى عبادته لم يفعل ما أمر به ، بل الذى أتى به شىء غير الذى أمر به : فلا يَصِحُّ ، ولا يقبل منه ، ويقول الله : « أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ

---

(١١) رواه أحمد فى الزُّهد (١/٢٧) .

الشِّرْكِ ، فَمَنْ عَمِل عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِى فِيهِ غَيْرِى ، فَهُوَ لِلَّذِى أَشْرَكَ بِهِ ، وَأَنَا مِنْهُ بَرِىءٌ »(١٢) .

● وهذا الشرك ينقسم إلى مغفور وغير مغفور ، وأكبر وأصغر ، والنوع الأول : ينقسم إلى كبير

---

(١٢) رواه مسلم (٢٩٨٥) (٤٦) من حديث أبى هريرة بلفظ : « قال الله تبارك وتعالى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَن الشِّرْكِ . مَن عَمِل عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِى غَيْرِى تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ » .

أما هذه الرواية فهى لفظ ابن ماجه (٤٢٠٢) ، وأحمد (٢/٣٠١، ٤٣٥) ، وابن حبان (٣٩٥) .

● **فائدة** : العمل لغير الله أقسام : فتارة يكون رياء محضًا بحيث لا يراد به سوى مرآت المخلوقين لغرض دنيوى ، كحال المنافقين فى صلاتهم ... وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن فى فرض الصلاة والصيام وقد يصدر فى الصدقة الواجبة أو الحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة أو التى يتعدى نفعها ، فإن الإخلاص فيها عزيز ، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة . وتارة يكون العمل لله ، ويشاركه الرياء ، فإن شاركه من أصله ، فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه وحبوطه أيضًا . راجع : « جامع العلوم والحكم » (١/٧٩) .

وأكبر ، وليس شيء منه مغفور ، فمنه الشرك بالله فى المحبة والتعظيم ، أن يحب مخلوقًا كما يحب الله ، فهذا من الشرك الذى لا يغفره الله[13] ، وهو الشرك الذى قال سبحانه فيه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

وقال أصحاب هذا الشرك لآلهتهم وقد جمعَهُم الجحيم : ﴿ تَاللهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٩٧،٩٨] .

---

(١٣) قال العلامة ابن القيم – رحمه الله – فى « نونيته » (١٣٢/٢) :

والشِّرك فاحذره ، فشِركٌ ظاهرٌ
ذا القسمُ ليس بقابلِ الغفرانِ
وهو اتخاذ النِّد للرحمن أيًّا
كان من حجر ومن إنسانِ
يدعُوه ، أو يَرْجُوه ، ثم يخافُهُ
ويحبُّه كمحبة الدّيانِ

ومعلوم أنهم ما سوّوهم به سبحانه فى الخلق ، والرزق ، والإماتة ، والإحياء ، والملك ، والقدرة ، وإنما سووهم به فى الحب والتّأله والخضوع والتّذلل لهم ، وهذا غاية الجهل والظُّلم . فكيف يُسوِّى التُّراب برب الأرباب ؟ وكيف يُسَوَّى العبيد بمالك الرِّقاب ؟ وكيف يُسَوَّى الفقير بالذات ، الضعيف بالذات ، العاجز بالذَّات ، المحتاج بالذَّات ، الذى ليس له من ذاته إلا العدم ، بالغنِىِّ بالذَّات ، القادر بالذَّات ، الذى غناه ، وقدرته ، وملكه ، وجوده ، وإحسانه ، وعِلمه ، ورَحمته ، وكماله المطلق التام من لوازم ذاته ؟

فأىّ ظلم أقبح من هذا ؟ وأى حكم أَشَدُّ جورًا منه ؟ حيث عدلَ مَنْ لا عدلَ له بخلقه ، كما قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لله الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ، ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١] فعدلَ المشركُ مَنْ خلق السموات والأرض

وجعل الظلمات والنور ، بِمَن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة فى السَّمٰوات ولا فى الأرض . فيا له من عذْل تضمن ظلم أكبر الظُّلم وأقبحه !!

فصـــل

شرك الأفعال والأقوال والإرادات والنّيات

ويتبع هذا الشِّرك : **الشِّركُ به سبحانه فى الأفعال ، والأقوال والإرادات ، والنِّيَّات .**

(١) **فالشِّرك فى الأفعال** : كالسُّجود لغيره ، والطَّواف بغير بيته ، وحلق الرأس عُبودية وخضوعًا لغيره ، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذى هو يمينه فى الأرض ، وتقبيل القبور واستلامها[١٤] ، والسُّجود لها ، ولقد لعن النبى ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء والصَّالحين مساجد يصلِّى لله فيها ، فكيف بمن اتخذ القبور أوثانًا يعبدها من دون الله ؟

---

(١٤) راجع الكلام على هذه المسألة بما فيه كفاية فى رسالة « تحذير المغرور من بدعة التمسح وتقبيل القبور » لشقيقنا أبى أنس السيد بن عبد المقصود .

ففى الصَّحيح عنه ﷺ أنه قال : « لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، اتَّخَذُوا مِنْ قُبُورِ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ »[15] .

وفى الصَّحيح أيضًا عنه : « إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ »[16] .

وفى الصَّحيح أيضًا عنه : « إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، فَإِنِّى أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ »[17] .

---

(١٥) البخارى (٤٣٥) ، ومسلم (٥٣١) (٣٢) .

(١٦) **حديث صحيح** : رواه أحمد (١/٤٣٥) ، وابن حبان (٣٤٠) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فى « اقتضاء الصراط » (٢/٦٧٤) : « إسناده جيد » وقد صححه الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على المسند (٣٨٤٤ ، ٤١٤٣) ، والألبانى فى « تحذير الساجد » ص (١٩) .

(١٧) رواه مسلم (٥٣٢) (٢٣) من حديث جندب بن عبد الله رضى الله عنه .

وفى مسند الإمام أحمد رضى الله عنه ، وصحيح ابن حبان عنه ﷺ قال : « لَعَنَ اللهُ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ والسُّرُجَ »[18] .

وقال : « اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ »[19] .

وقال : « إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدَاً ، وَصَوَّرُوا فِيهِ

---

(١٨) رواه أحمد (٤٤٢/٢ ، ٤٤٣) ، وابن ماجه (١٥٧٤) ، والحاكم (٣٧٤/١) من حديث حسان بن ثابت والحديث صححه لشواهده وطرقه الألبانى فى « تحذير الساجد » ص (٤٣) بدون زيادة : « والمتخذين عليها المساجد والسرج » . وراجع : « السلسلة الضعيفة » للألبانى (٢٢٥) .

(١٩) **حديث صحيح** : رواه مالك فى « الموطأ » (٨٥) عن عطاء ابن يسار مرسلًا ، وابن أبى شيبة (٣٤٥/٣) عن زيد بن أسلم مرسلًا . ووصله أحمد فى المسند (٢٤٦/٢) من حديث أبى هريرة ، والبزار (٤٤٠ – كشف الأستار) من حديث أبى سعيد الخدرى ، وصححه الألبانى فى « تحذير الساجد » ص (١٨)، (١٩) .

تِلْكَ الصُّوَرَ ، أُوْلَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[٢٠] .

فهذا حال من سَجَد لله فى مَسْجِدٍ عَلَىٰ قَبْرٍ ، فكيف حال من سَجَد للقبر نفسه ؟

وقد قال النبى ﷺ : « اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِى وَثَنَاً يُعْبَدُ »[٢١] ، وقد حمى ﷺ جانب التَّوحيد أعظم حماية ، حتى نهى عن صلاة التَّطوع لله سبحانه عند طلوع الشَّمس وعند غروبها ، لئلا يكون ذريعة إلى التشبه بعبَّاد الشَّمس الذين يسجدون لها فى هاتين الحالتين ، وسَدَّ الذريعة بأَنْ منع من الصَّلاة بعد العصر والصُّبح ، لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين سجد المشركون فيهما للشَّمس .

---

(٢٠) رواه البخارى (٤٢٧) ، ومسلم (٥٢٨) (١٦) من حديث عائشة رضى الله عنها .

(٢١) **حديث صحيح** : وهو جزء من الحديث الذى تقدم تخريجه بتعليق (١٩) .

وأما السجود لغير الله فقال : « لَا يَنْبَغِى لأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ إِلَّا لله »(٢٢) .

و« لا ينبغى » فى كلام الله ورسوله ﷺ الذى هو فى غاية الامتناع شرعًا ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ [مريم : ٩٢] . وقوله : ﴿ وَمَا يَنبَغِى لَهُ ﴾ [يس : ٦٩] وقوله : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنبَغِى لَهُمْ ﴾ [الشعراء : ٢١٠] وقوله عن الملائكة : ﴿ مَا كَانَ يَنبغِى لَنَا أَن نَتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [الفرقان : ١٨] .

---

(٢٢) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ** : رواه الترمذى (١١٥٩) ، والبيهقى (٢٩١/٧) بلفظ : « لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد » وابن حبان (٤١٦٢) ولفظه : « ما ينبغى لأحد أن يسجد لأحد..» كلهم من طريق محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة وإسناده حسن ولذا قال الترمذى : « حسن غريب » .

وللحديث شواهد كثيرة : منها حديث أنس بن مالك بلفظ : « لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ... » رواه أحمد (١٥٩/٣) وإسناده جيد كما قال ابن كثير فى « البداية » (١٤٢/٦) ، والمنذرى فى « الترغيب » (٧٥/٣) وراجع : « إرواء الغليل » للألبانى (١٩٩٨) .

فصـــل

(٢) ومن الشّرك به سبحانه الشّرك به فى اللفظ ، كالحلف بغيره ، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود عنه ﷺ أنه قال : « مَنْ حَلَفَ بِغَيرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ » [صححه الحاكم وابن حبان][٢٣] .

ومن ذلك قول القائل للمخلوق : ما شاء الله وشئت ، كما ثبت عن النبى ﷺ أنه قال له رجل : « مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ ، فَقَالَ : أَجَعَلْتَنِى للهِ نِدًّا ؟ قُلْ : مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ »[٢٤] .

---

(٢٣) **حَدِيثٌ صَحِيحٌ** : رواه أبو داود (٣٢٥١) ، والترمذى (١٥٣٥) ، والحاكم (١/١٨ ، ٤/٢٩٧) بسند صحيح ، وصححه هناك ووافقه الذهبى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما وقد صححه الألبانى فى صحيح الترمذى (٢/٩٩) .

(٢٤) **حَدِيثٌ حَسَنٌ** : رواه أحمد (١/٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٨٣ ، ٣٤٧) ، والبخارى فى « الأدب المفرد » (٧٨٣) ، والنسائى فى «عمل=

هذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة كقوله : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ [التكوير : ٢٨] فكيف بمن يقول : أنا متوكِّل على الله وعليك ، وأنا فى حسب الله وحَسْبك ، وما لى إلا الله وأنت ، وهذا من الله ومنك ، وهذا من بركات الله وبركاتك ، والله لى فى السماء وأنت لى فى الأرض ، أو يقول : والله وحياة فلان ، أو يقول : نذرًا لله ولفلان ، أو أنا تائب لله ولفلان ، أو أرجو الله وفلانًا ، ونحو ذلك ؟

فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول القائل : ما شاء الله وشئت ، ثم انظر أيهما أفحش ! يتبين لك أن قائلها أولى بجواب النبى ﷺ لقائل تلك الكلمة ، وأنه إذا كان قد جعل لله ندًا بها ؛ فهذا قد جعل من لا يدانى رسول الله ﷺ فى شىء من الأشياء - بل لعله أن يكون له

= اليوم والليلة» (٩٩٥)، وابن ماجه (٢١١٧) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما وفى إسناده أبو حجية الكندى صدوق شيعى كما فى « التقريب » ولذا حسَّنه الألبانى فى « الصحيحة » (١٣٩) .

من أعدائه - نِدًّا لرب العالمين ، فالسُّجود ، والعبادة ، والتَّوكل ، والإنابة ، والتَّقوى ، والخشية ، والحسب ، والتَّوبة ، والنَّذر ، والحلف ، والتَّسبيح ، والتكبير ، والتهليل ، والتحميد ، والاستغفار ، وحلق الرأس خضوعًا وتعبدًا ، والطواف بالبيت ، والدعاء ، كل ذلك محض حقّ لله الذى لا يصلح ولا ينبغى لسواه مِن ملك مقرَّب ولا نبى مرسل .

وفى مسند الإمام أحمد : « أَنَّ رَجُلًا أُتِىَ بِهِ إِلَى النَّبىِّ ﷺ قَدْ أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيهِ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّى أَتُوبُ إِلَيكَ وَلَا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَقَالَ : عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ »[٢٥] .

---

(٢٥) **حَدِيثٌ ضَعِيفٌ** : رواه أحمد (٣/٤٣٥) ، والحاكم (٤/٢٥٥) من حديث الأسود بن سريع وإسناده ضعيف فقد قال الحاكم : صحيح وردَّه الذهبى وقال : فيه محمد بن مصعب ضعفوه ، وقال الهيثمى : فيه عند أحمد والطبرانى محمد بن مصعب وثَّقه أحمد وضعَّفه غيره وبقية رجاله رجال الصحيح . والحديث ضعفه الألبانى فى « ضعيف الجامع الصغير » (٣٧٠٧) .

فصـــــل

(٣)، (٤) وأما الشِّرك فى الإرادات والنِّيات : فذلك البحر الذى لا ساحل له ، وقلَّ من ينجو منه ؛ فمن أراد بعَمله غير وجه الله أو نوى شيئًا غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه ، فقد أشرك فى نيَّته وإرادته .

والإخلاص : أن يخلص لله فى أقواله وأفعاله وإرادته ونيته[٢٦] ، وهذه هى الحنيفية مِلَّة إبراهيم التى أمر الله بها عباده كلهم ، ولا يقبل من أحد غيرها ، وهى حقيقة الإسلام : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ، وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] وهى ملة إبراهيم التى من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء .

---

(٢٦) ما أحسن قول سهل بن عبد الله التُّسترى : « ليس على النَّفس شىءٌ أشق من الإخلاص ، لأنه ليس لها فيه نصيب » جامع العلوم (٨٤/١) .

فصـــل

حقيقـــة الشـــرك

إذا عرفت هذه المقدمة انفتح لك الجواب عن السؤال المذكور[٢٧] ؛ فنقول ، ومن الله وحده نستمد الصواب :

● **حقيقة الشرك** : هو التَّشبُّه بالخالق والتَّشبيه للمخلوق به ، هذا هو التَّشبيه فى الحقيقة ، لا إثبات صفات الكمال التى وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسول الله ﷺ ؛ فعكس من نكس الله قلبه ، وأعمى عين بصيرته ، وأُركسه بكسبه ، وجعل التوحيد تشبيهًا ، والتشبيه تعظيمًا وطاعة ؛ فالمشرك مُشبِّهٌ للمخلوق بالخالق فى خصائص الإلٓهية .

---

(٢٧) راجع ص (١٠) .

● **فإن من خصائص الإلٓهية** : التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع ، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده ، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق ، وجعل ما لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا – فضلًا عن غيره – شبيهًا لمن له الأمر كله ، فأزِمَّة الأمور كلها بيديه ، ومرجعها إليه ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع ، بل إذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد ، وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد .

فمن أقبح التَّشبيه : تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغنى بالذات .

● **ومن خصائص الإلٓهية** : الكمال المطلق من جميع الوجوه ، الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده ،

والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوبة والتوكل والاستعانة ، وغاية الذل مع غاية الحب ، كل ذلك عقلًا وشرعًا وفطرة أن يكون له وحده ، ويمنع عقلًا وشرعًا وفطرة أن يكون لغيره ، فمن جعل شيئًا من ذلك لغيره فقد شبّه ذلك الغير بمن لا شَبِيه له ولا مَثيل له ولا نِدَّ له ، وذلك أقبح التَّشبيه وأبطله ، ولشدَّة قبحه وتضمُّنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده أنه لا يغفره ، مع أنه كتب على نفسه الرَّحمة .

● **ومن خصائص الإلّهية** : العبودية التى قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما : غاية الحُبِّ ، مع غاية الذُّل ، هذا تمام العبودية ، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم فى هذين الأصلين .

فمن أعطى حُبَّه وذُلَّه وخضوعه لغير الله فقد شبّه به فى خالص حقه ، وهذا من المحال أن تجىء به شريعة من الشَّرائع ، وقبحه مستقر فى كل فطرة وعقل ، ولكن

غيَّرت الشَّياطين فِطَر الخلق وعقولهم وأفسدتها عليهم واجتالتهم عنها ، ومضى على الفطرة الأولى من سبقت له من الله الحُسنىٰ ، فأرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه بما يوافق فطرهم وعقولهم ، فازدادوا بذلك نورًا على نور : ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [النور : ٣٥] .

إذا عرف هذا .

فمن خصائص الإلٰهية : السُّجود ، فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به .

● **ومنها** : التَّوكل ، فمن توكل على غيره فقد شبهه به .

● **ومنها** : التَّوبة ، فمن تاب لغيره فقد شبهه به .

● **ومنها** : الحلف باسمه تعظيمًا وإجلالًا له ، فمن حلف بغيره فقد شبَّهه به ، هذا فى جانب التَّشبيه .

● **وأما فى جانب التَّشبه به : فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه فى المدح والتَّعظيم والخضوع والرجاء وتعليق القلب به خوفًا ورجاءً والتجاء واستعانة ؛ فقد تشبّه بالله ونازعه فى ربوبيته وإلّهيته ، وهو حقيق بأن يُهينه الله غاية الهَوان ، ويُذِلُّه غاية الذُّل ، ويجعله تحت أقدام خَلْقِه .**

وفى الصَّحيح عنه ﷺ قال : « يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ : الْعَظَمَةُ إِزَارِى ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِى ، فَمَنْ نَازَعَنِى وَاحِدَاً مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ »[٢٨] وإذا كان المصور الذى يصنع الصُّورة بيده من أشدّ النَّاس عذابًا يوم القيامة **لتشبُّهه بالله فى مجرد الصَّنعة ، فما الظَّن بالتَّشَبُّه بالله فى الرُّبوبية والإلّهية ؟**

---

(٢٨) رواه مسلم (٢٦٢٠) (١٣٦) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه بلفظ : « قال رسول الله ﷺ : العِز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعنى عذبته » ، وأبو داود (٤٠٩٠) ، وابن ماجه (٤١٧٤) بلفظ : « الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدًا منهما قذفته فى النار » .

كما قال النبى ﷺ : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابَاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ ، يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ »[٢٩] .

وفى الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خلقاً كَخَلْقِى ، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً »[٣٠] فنبَّه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منها وأكبر .

● **والمقصود** : أن هذا حالُ مَن تشبَّه به فى صنعته ، فكيف حال من تشبَّه به فى خواص ربوبيته وإلهيته ؟ وكذلك من تشبَّه فى الاسم الذى لا ينبغى إلّا له وحده ، كملك الأملاك ، وحاكم الحكّام ، ونحوه .

---

(٢٩) رواه البخارى (٥٦٠٧) ، ومسلم (٢١٠٩) (٩٨) من حديث ابن مسعود رضى الله عنه .

(٣٠) رواه البخارى (٧١٢٠) ، ومسلم (٢١١١) (١٠١) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

وقد ثبت فى الصَّحيح عن النبى ﷺ أنه قال : « إنَّ أَخْنَعَ الأَسْمَاءِ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ يُسَمَّى بِشَاهَانِ شَاهٍ – أَىْ مَلِكِ الْمُلُوكِ – لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ » . وفى لفظ : « أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ ، رَجُلٌ يُسَمَّى بِمَلِكِ الأَمْلَاكِ »(٣١) .

فهذا مقتُ الله وغضبُهُ على من تشبَّه به فى الاسم الذى لا ينبغى إلا له ، فهو سبحانه ملك الملوك وحده ، وهو حاكم الحكام وحده ، فهو الذى يحكم على الحكام كلهم ، ويقضى عليهم ، لا غيره .

---

(٣١) البخارى (١٢٠٦) ، ومسلم (٢١٤٣) (٢٠) من حديث أبى هريرة . والرواية الثانية عند مسلم برقم (٢١٤٣) (٢١) .

● أَخْنَع : يعنى أوضع .

أغيظ : من الغيظ وهو مثل الغضب والبغض فيكون بغيضًا إلى الله مغضوبًا عليه . راجع : فتح المجيد (٢/٥٩٦) بتحقيقنا .

فصـــل

وما قَدَروا الله حـق قـدره !

إذا تبين هذا فها هنا أصل عظيم يكشف سر المسألة ، وهو أن أعظم الذنوب عند الله إساءة الظَّن به ، فإن المسيء به الظن قد ظن به خلاف كماله المُقَدَّس ، وظنَّ به ما يُناقض أسماءه وصفاته ، ولهذا توعَّد الله سبحانه الظَّانين به ظن السَّوء بما لم يتوعَّد به غيرهم ، كما قال تعالى : ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وغَضِبَ الله عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح : ٦] وقال تعالى لمن أنكر صفة من صفاته : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [فصلت : ٢٣] .

وقال تعالى عن خليله إبراهيم أنه قال لقومه : ﴿ مَاذَا تَعْبُدُون * أَإِفْكًا آلِهَةً دُونَ الله تُرِيدُونَ * فَمَا

ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات : ٨٥ - ٨٧] أى فما ظنكم أن يجازيكم به إذا لَقِيتُموه وقد عَبَدّتم غيره ؟

وما ظننتم به حتى عبدتم معه غيره ؟

وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النّقص حتى أحوجكم ذلك إلى عبودية غيره ؟

فلو ظننتم به ما هو أهله من أنه بكل شىء عليم ، وهو على كل شىء قدير ، وأنه غنى عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه ، وأنه قائم بالقسط على خلقه ، وأنه المنفرد بتدبير خلقه لا يشركه فيه غيره ، والعالم بتفاصيل الأمور ، فلا يخفى عليه خافية من خلقه ، والكَافى لهم وحده ، فلا يحتاج إلى مُعين ، والرحمن بذاته ، فلا يحتاج فى رحمته إلى من يستعطفه ، وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء ، فإنهم مُحتاجون إلى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم ، ويعينهم على قضاء حوائجهم ، وإلى من يسترحمهم

ويستعطفهم بالشّفاعة ، فاحتاجوا إلى الوَسائط ضرورة لحاجتهم وضعفهم وعجزهم وقصور علمهم(٣٢) .

---

(٣٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى « الواسطة بين الحق والخلق » ص (١٧ : ١٩) : « الوسائط التى بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة :

● **الوجه الأول** : إما لاخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه ؛ ومن قال أن الله لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بذلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر ، بل هو سبحانه يعلم السِّر وأخفى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع البصير ، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه كثرة المسائل ولا يتبرم بإلحاح الملحين .

● **الوجه الثانى** : أن يكون الملك عاجزًا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه فلابد له من أنصار وأعوان لذله وعجزه ، والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولى من الذل . قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ﴾

وكل ما فى الوجود من الأسباب فهو خالقه وربه ومليكه فهو الغنى عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير إليه بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم وهم فى الحقيقة شركاؤهم فى الملك والله تعالى ليس له شريك

فأما القادر على كل شيء ، الغنى بذاته عن كل شيء ، العالم بكل شيء ، الرحمن الرحيم الذى وَسِعَتْ رحمته كل شيء ، فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه ينقص بحق ربوبيته وإلهيته وتوحيده ، وظن به

فى الملك بل لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

● **الوجه الثالث** : أن يكون الملك ليس مريدًا لنفع رعيته والإحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظمه أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت إرادة الملك وهمته فى قضاء حوائج رعيته إما لما حصل فى قلبه من كلام الناصح الواعظ المثير وإما لما يحصل من الرغبة أو الرهبة كلام المدل عليه . والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو إذا أجرى نفع العباد بعضهم على بعض فجعل هذا يحسن إلى هذا ويدعو له ويشفع فيه ونحو ذلك فهو الذى خلق ذلك كله ... ا . هـ .

وقال أيضًا ص (١٤) : « فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين » ا.هـ .

ظن السوء ، وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده ، ويمتنع في العقول والفِطَر جوازه ، وقبحه مستقر في العقول السّليمة فوق كل قبيح .

● **يوضّح هذا** : أن العابد مُعظِّم لمعبوده ، مُتألّه له ، خاضع ذليل له ، والرّب تعالى وحده هو الذى يستحق كمال التّعظيم والإجلال والتأله والخضوع والذل ، وهذا خالص حقه ، فمن أقبح الظُّلم أن يعطى حقه لغيره ، أو يشرك بينه وبينه فيه ، ولا سيما إذا كان الذى جعل شريكه فى حقه هو عبده ومملوكه كما قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلَ لَكُمْ مِن مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ؟ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم : ٢٨] .

أى إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه فى رزقه ، فكيف تجعلون لى من عبيدى شُركاء فيما أنا

منفرد به وهو الإلٰهية ، التى لا تنبغى لغيرى ، ولا تصحّ لسواى ؟

فمن زعم ذلك فما قدَّرنى حق قَدْرى ، ولا عظَّمنى حق تعظيمى ، ولا أفردنى بما أنا منفرد به وحدى دون خلقى ، فما قدَّر الله حق قدره من عبد معه غيره ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَو اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِنَّ اللهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٧٣، ٧٤] .

● **فما قدَّر الله حق قدره** : من عبد معه غيره ممن لا يقدر على خلق أضعف حيوان وأصغره ، وإن سلبه الذُّباب شيئًا مما عليه لم يقدر على استنقاذه منه ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَوَاتُ مَطوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ،

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧] فما قدر من هذا شأنه وعظمته حق قدره من أشْرك معه فى عبادته من ليس له شىء من ذلك ألبتة ، بل هو أعجز شىء وأضعفه ، فما قدّر القوىَّ العزيز حق قدره من أشرك معه الضّعيف الذّليل .

● وكذلك ما قدّره حَقّ قدره من قال: إنه لم يرسل إلى خلقه رسولًا، ولا أنزل كتابًا ، بل نسبه إلى ما لايليق به ولا يحسن منه من إهمال خلقه وتضييعهم وتركهم سُدى ، وخلقهم باطلًا وعبثًا ، ولا قدّره حق قدره مَنْ نفى حقائق أسمائه الحُسْنى وصفاته العلى ، فنفى سمعه وبصره وإرادته واختياره وعلوّه فوق خلْقه ، وكلامه وتكليمه لمن شَاء من خلقه بما يريد ، أو نفى عموم قدرته وتعلُّقها بأفعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم ، فأخرجها عن قدرته ومَشِيئته وخلقه ، وجعلهم يخلقون لأنفسهم ما يشاؤون بدون مشيئة الرب ، فيكون فى

ملكه ما لا يشاء ، ويشاء ما لا يكون ، تعالى الله عن قول أَشْبَاه المَجُوس عُلواً كبيرًا .

● **وكذلك ما قدَّره حق قدره** : من قال : إنه يعاقب عبده على ما لا يفعله العبد ، ولا له عليه قدره ولا تأثير له فيه ألبتة ، بل هو نفس فعل الرّب جلّ جلاله ، فيعاقب عبده على فعله هو سبحانه الذى جبر العبد عليه ، وجبره على الفعل أعظم من إكراه المخلوق للمخلوق ، وإذا كان من المستقر فى الفِطَر والعقول أن السيد لو أكره عبده على فعل أو ألجأه إليه ثم عاقبه عليه لكان قبيحًا ، فأعدل العادلين وأحكم الحَاكِمين وأَرحم الرَّاحمين كيف يجبر العبد على فعل لا يكون للعبد فيه صنع ولا تأثير ، ولا هو واقع بإرادته ، بل ولا هو فعله ألبتة ، ثمَّ يعاقب عليه عقوبة الأبد ؟ تعالى الله عن ذلك عُلُوّاً كبيرًا ، وقول هؤلاء شر من أقوال المجوس ، والطَّائفتان ما قدَّروا الله حق قدره .

● **وكذلك ما قدّر الله حق قدره** : من لم يَصُنه عن نتن ولا حشّ ، ولا مكان يرغب عن ذكره بل جعله فى كل مكان ، وصَانه عن عرشه أن يكون مُستويًا عليه : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر : ١٠] .

وتعرج الملائكة والرُّوح إليه ، وتنزل من عنده : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة : ٥] .

فصانه عن استوائه على سرير المُلك ، ثم جعله فى كل مكان يأنف الإنسان ، بل غيره من الحيوان أن يكون فيه .

● **وما قدَّره حق قدره** : من نفى حقيقة مَحبته ورحمته ورأفته ورضاه وغضبه ومقته ، ولا من نفى حقيقة حكمته التى هى الغايات المحمودة المقصودة بفعله ، ولا من نفى حقيقة فعله ، ولم يجعل له فعلًا

اختياريًا يقوم به ، بل أفعاله مفعولات منفصلة عنه ، فنفى حقيقة مجيئه وإتيانه واستوائه على عرشه ، وتكْليمه موسى من جانب الطور ، ومَجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده بنفسه ، إلى غير ذلك من أفعاله وأوصاف كماله ، التى نَفَوْهَا وزعموا أنَّهم بنفيها قد قدّروه حق قدره .

● **وكذلك لم يقدِّره حق قَدْره** : من جعل له صاحبةً وولدًا ، أو جعله سبحانه يحلّ فى مخلوقاته ، أو جعله عين هذا الوُجود .

● **وكذلك لم يُقَدِّره حق قدره** : من قال : إنه رفع أعداء رسول الله ﷺ وأهل بيته وأعلى ذكرهم ، وجعل فيهم الملك والخلافة والعز ، ووضع أولياء رسوله وأهل بيته ، وأهانهم وأذلهم وضرب عليهم الذِّلة أينما ثقفوا ، وهذا يتضمن غاية القدح فى جناب الرّب ، تعالى عن قول الرّافضة علوًّا كبيرًا .

وهذا القول مشتق من قول اليهود والنَّصارى فى رب العالمين : إنه أرسل ملكًا ظالمًا ، فادَّعى النُّبوة لنفسه ، وكذب على الله ، ومكث زمنًا طويلًا يكذب عليه كل وقت ، ويقول : قال الله كذا وأمر بكذا ونهى عن كذا وينسخ شرائع أنبيائه ورسله ، ويستبيح دماء أتباعهم وأموالهم وحريمهم ، ويقول : الله أباح لى ذلك ، والرّب تبارك وتعالى يؤيده ويظهره ويعليه ، ويعزّه ويجيب دعواته ، ويمكنه ممن خالفه ، ويقيم الأدلة على صدقه ، ولا يعاديه أحد إلا ظفر به ، فيصدقه بقوله وفعله وتقريره ، ويحدث أدلة تصديقه شيئًا بعد شىء .

ومعلوم أن هذا يتضمن أعظم القدح والطَّعن فى الرب سبحانه وتعالى وعلمه وحكمته ورحمته وربوبيته ، تعالى عن قول الجاحدين علوًّا كبيرًا .

فوازن بين قول هؤلاء ، وقول إخوانهم من الرَّافضة تجد القولين كما قال الشاعر :

رَضِيعَىْ لِبَان ثَدْى أُمٍّ تَحالَفا
بِأَسْحَمَ دَاجٍ عِوَضٌ لَا نَتَفَرَّقُ

● **وكذلك لم يقدِّره حق قدره** : من قال : إنه يجوز أن يعذِّب أولياءه ومن لم يَعْصِه طرفة عين ويدخلهم دار الجحيم ، وينعّم أعداءه ومن لم يؤمن به طرفة عين ، ويدخلهم دار النَّعيم ، وأن كلا الأمرين بالنسبة إليه سواء ، وإنما الخبر المحض جاء عنه بخلاف ذلك ، فمعناه للخبر لا لمخالفة حكمه وعدله .

وقد أنكر سبحانه على من جوَّز عليه ذلك غاية الإنكار ، وجعل الحكم به من أسوأ الأحكام . قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ، ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ، أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾

[سورة ص : ٢٧، ٢٨] .

وقال : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الجاثية : ٢١،٢٢] .

وقال : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم : ٣٥،٣٦] .

● **وكذلك لم يُقدِّره حق قدره** : من زعم أنه لا يُحيي الموتى ، ولا يبعث من فى القبور ، ولا يجمع خلقه ليوم يجازى فيه المُحسن بإحسانه والمُسِيء بإساءته ، ويأخذ للمظلوم فيه حقه من ظالمه ، ويكرم المُتَحمِّلين للمشاق فى هذه الدّار من أجله وفى مرضاته بأفضل كرامته ، ويبيّن لخلقه الذى يختلفون فيه ، ويعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين .

● **وكذلك لم يقدِّره حق قدره** : من هان عليه أمرُه فعصاه ، ونهيُه فارتكبه وحقّهُ فضيّعه ، وذِكْرُهُ فأهمله ، وغفل قلبه عنه ، وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه ، وطاعة المخلوق أهم عنده من طاعته ، فلله الفضلة فى قلبه وعمله ، وسواه المقدَّم فى ذلك لأنه المهم عنده ، يستخف بنظر الله إليه واطلاعه عليه وهو فى قبضته ، وناصيَته بيده ، ويعظم نظر المخلوق عليه ، واطّلاعه عليه بكل قلبه وجوارحه ، يستحيى من النَّاس ولا يستحيى من الله ، ويخشى الناس ولا يَخشى الله ، ويُعامل الخلق بأفضل ما يقدر عليه ، وإن عامل الله عامله بأهون ما عنده وأحقره ، وإن قام فى خدمة من يحبه من البشر قام بالجد والاجتهاد وبذل النصيحة ، وقد فرَّغ له قلبه وجوارحه ، وقدَّمه على كثير من مصالحه ، حتى إذا قام فى حق ربه - إن ساعده القدر - قام قيامًا لا يرضاه مخلوق من مخلوق مثله ، وبذل له من ماله

ما يَستَحيى أن يواجه به مخلوق لمِثله ، فهل قدَّر الله حق قَدْره من هذا وَصْفه ؟

● **وهل قدَّره حق قدره** : من شَارَك بينه وبين عَدوِّه فى محض حقه من الإجلال والتَّعظيم والطَّاعة والذُّل والخُضوع والخوف والرجاء ؟ فلو جعل له من أقرب الخلق إليه شريكًا فى ذلك لكان ذلك جراءة وتوثبًا على محض حقه ، واستهانة به ، وتشريكًا بينه وبين غيره ، فيما لا ينبغى ولا يَصْلح إلا له سبحانه ، فكيف وإنما شرك بينه وبين أبغض الخلق إليه ، وأهونهم عليه وأمقتهم عنده وهو عدوه على الحقيقة ؟ فإنه ما عبد من دون الله إلا الشيطان ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِى آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِى هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [يس : ٦٠، ٦١] .

ولما عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم فى نفس الأمر للشياطين ، وهم يظنون أنهم يعبدون الملائكة كما قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا : سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ، بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ، أَكْثَرُهُم بِهِم مُؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ : ٤٠، ٤١] .

فالشَّيطان يدعو المُشرك إلى عبادته ويوهمه أنَّه ملك ، وكذلك عباد الشَّمس والقمر والكواكب يزعمون أنهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب وهى التى تخاطبهم ، وتقضى لهم الحوائج ، ولهذا إذا طلعت الشمس قارنها الشَّيطان فيسجد لها الكافر ، فيقع سجودهم له وكذلك عند غروبها ، وكذلك مَن عبدَ المسيحَ وَأُمَّه لم يعبدهما وإنما عبد الشَّيطان .

فإنه يزعم أنه يعبد من أمره بعبادته وعبادة أمه ، ورضيها لهم ، وأمرهم بها ، وهذا هو الشَّيطان الرجيم ،

لا عبد الله ورسوله ، فنزل هذا كله على قوله تعالى :
﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِى آدَمَ ، أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِين ۞ وأَنِ اعْبُدُونِى هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [يس : ٦٠، ٦١] .

فما عبد أحد من بنى آدم غير الله كائنًا من كان إلا وقعت عبادته للشَّيطان ، فيستمتع العابد بالمَعْبود فى حصول غرضه ، ويستمتع المعبود بالعابد فى تعظيمه له وإشراكه مع الله الذى هو غاية رضى الشيطان ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنسِ ﴾ أى من إغوائهم وإضلالهم ﴿ وَقال أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ، وَبَلَغْنَا أَجلَنَا الَّذِى أَجَّلْتَ لَنَا ، قَالَ : النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا ، إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٢٨] .

● فهذه إشارة لطيفة إلى السِّر الذى لأجله كان الشِّرك أكبر الكبائر عند الله ، وأنه لا يغفر بغير التوبة منه ، وأنه يوجب الخلود فى العذاب ، وأنه ليس تحريمه وقبحه بمجرد النهى عنه ، بل يستحيل على الله سبحانه أن يشرع لعباده عبادة إلّه غيره ، كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله ، وكيف يظن بالمنفرد بالرّبوبية والإلّهية والعظمة والجلال أن يأذن فى مشاركته فى ذلك ، أو يَرْضى به ؟ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

فهـرس

الموضـوع	الصفحـة